

مداخلة البروفسور سليم دكّاش اليسوعي، رئيس جامعة القديس يوسف في بيروت، خلال المؤتمر الصحفي لإطلاق "البرنامج الوطني للكشف المبكر عند الولادة لأمراض نقص المناعة الأولي"، الذي يُعقد في ١٩ كانون الثاني (يناير) ٢٠١٨ في وزارة الصحة.

أودّ أن أستهلّ كلمتي بتوجيه التحيّة إلى دولة نائب رئيس مجلس الوزراء معالي الوزير الأستاذ حاصباني، لأنّه يأخذ على عاتقه مشاكل الأطفال حديثي الولادة بالإضافة إلى تحمّله أعباء أخرى في قطاع الصحة، كما أوجّه التحيّة إلى الصديق الرئيس البروفسور فضلو خوري رئيس الجامعة الأميركيّة في بيروت لما يقوم به شخصياً لتعزيز قطاع الخدمات الصحيّة وما يقوم به المسؤولون في جامعتينا وفي مستشفيات لبنان في هذا المجال. وهذه التحيّة أسوقها أيضاً لجميع العاملين من اختصاصيين ومهنيين للالتزامهم بقضيّة الطفل وتعزيز صحّته.

"الكشف المبكر من أجل علاج أفضل".

إعتمدت جامعة القديس يوسف في بيروت هذه الرؤية منذ العام ١٩٩٥ عندما قامت وحدة علم الوراثة الطبيّة "UGM" في كليّة الطبّ، بالإشتراك مع مستشفى جامعتنا، مستشفى أوتيل ديو دو فرانس، بإدراج الكشف المبكر عند الولادة لأمراض نقص المناعة الأولي.

يرجع تاريخ الكشف الصحيّ المنتظم على الأطفال حديثي الولادة بواسطة بقع دماء مجفّفة على الورق النشّاف، إلى العام ١٩٦٣ مع تطوير إختبار كشف بيلة الفينيل كيتون أو البوال التخلفي أو الفينيل كيتونيوريا، أي الأمراض ذات الخلل الوراثي في التمثيل الغذائي في الجسم، وهو "إختبار" غوتري "Guthrie أي فحص الدم المبكر الذي يتحرى عن الأمراض الجينيّة لحديثي الولادة البالغين من العمر ثلاثة أيّام. هذا الإختبار يجعل من الممكن فحص الحمض الأميني الضروريّ لنموّ الأطفال والأبيض ويُدعى "فينيل ألانين" في الدم وبالتالي إرتفاع نسبته السامّة على نموّ الدماغ لدى الطفل. وهكذا أصبحت بيلة الفينيل كيتون أو

الفينيل كيتونيوريا، أول إعاقة ذهنية يمكن الوقاية منها وتجنبها من خلال إيجاد نظام غذائيّ محدّد في مرحلة مبكرة يساعد الأطفال على العيش بشكل طبيعيّ. وقد ولد مفهوم الكشف المبكر على الأطفال حديثي الولادة باستخدام قطرات الدم !

في العام ١٩٩٥، عندما بدأت جامعة القديس يوسف هذا البرنامج في لبنان، إندرجت ٥ أمراض ضمن لائحة حديثي الولادة. في العام ٢٠٠٦، وبما أننا ما زلنا نواكب التقدّم التكنولوجي، وبفضل إدراج القياس الطيفي الكتلّي المزدوج، توسّعت اللائحة لتصل إلى ٣٠ مرض !

واليوم، مع إدخال إختبار "TREC" توسّعت اللائحة مرارًا وتكرارًا !

بفضل سياسة عملنا إستمرينا في تحديد ٣ أهداف :

١- المساواة، مع إمكانية حصول جميع الأطفال حديثي الولادة على اختبارات الكشف المبكر وعلى العلاج ؛

٢- الفعالية، مع البحث عن أقصى درجات الحساسية والخصوصية التي تحدّد من إمكانيات النتائج السلبية الزائفة (الأطفال المرضى الذين لم يتمّ الكشف عن مرضهم) والنتائج الإيجابية الزائفة (الأطفال الذين تمّ فحصهم ولكنهم ليسوا بمرضى) ؛

٣- وخصوصًا المنفعة، مع أولوية الفائدة المباشرة التي تعود على الشخص المريض.

وهكذا، صار مختبر الكشف المبكر لحديثي الولادة التابع لجامعة القديس يوسف معروفًا على صعيد دوليّ بفضل دعم عدّة مراكز مرجعية، بما فيها مختبر الأيض في هامبورغ Hamburg ، وعيادة مايو Mayo، ومختبر الكشف عن حديثي الولادة في مراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها في أتلانتا. وأصبح هذا المختبر حاليًا ممثلًا لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في مجلس إدارة الجمعية الدولية للفحص الجينيّ للأطفال حديثي الولادة (ISNS).

واليوم، تغطّي وحدة الكشف المبكر للأطفال حديثي الولادة أكثر من ٦٥ مستشفى في لبنان وفي ١٠ بلدان أخرى في المنطقة. وهذه الوحدة، هي مكوّن من مكوّنات وحدة الوراثة الطبيّة، أُطلق عليها في العام ٢٠٠٤ اسم "المركز الإقليمي للتميّز".

هذا المختبر التابع لكلية الطبّ في جامعتنا يقوم بأنشطة قائمة على أسس ٥ محاور تأسيسيّة في علم الوراثة البشريّة : علم الوراثة الخلويّة، وعلم الوراثة السريريّة، وعلم الوراثة الجزيئيّ والوظيفيّ والبيوكيميائيّ. يضمّ الفريق نحو عشرين من علماء الأحياء، والكيمياء الحيويّة، وفنيّي المختبرات، فضلاً عن أطباء متخصصين في البيولوجيا الطبيّة، وعلم الوراثة الجينيّة، وعلم الأمراض الجزيئيّة.

بما أنّ إحدى مهامّ جامعة القديس يوسف تكمن في تزويد المرضى برعاية أفضل، إستثمرت وحدة علم الوراثة الطبيّة "UGM" في مجال التشخيص الجزيئيّ والبحث والابتكار من خلال متابعة التكنولوجيات الجديدة وإدخالها، وقریباً سوف تُدرج النظم الفائقة لترتيب الحمض النووي « NGS ». وهذه التكنولوجيا الواعدة جدّاً التي تتقدّم بخطى كبيرة، سوف تسمح يوماً ما بتحديد جميع الجينات. في هذا الوقت، جامعة القديس يوسف التي لا تزال تُعتَبَر في طليعة البحوث، سوف تكون قادرة على تطبيق النظم الفائقة لترتيب الحمض النووي « NGS » في اختبار فحص حديثي الولادة. وأيّ أمل للمرضى والطبّ ! من الواضح أنّ عمل هذا الفريق يتعلّق بالبحوث الأساسيّة والتطبيقية على حدّ سواء، وأيضاً بخدمة المرضى، فضلاً عن المساهمة في تعليم أطباء المستقبل وغيرهم من الفاعلين في مجال الصحّة البشريّة.

هل ينبغي لنا أن نفعل كلّ ما هو ممكن القيام به وإن كان مكلفاً جدّاً ؟

إلى الناس الذين يقولون : "دعونا نكشف كلّ ما هو قابل للكشف"، يردّ الحكيم قائلاً : "دعونا لا نكشف إلا ما هو مفيد ووفقاً لقدراتنا الطبيّة والماليّة". دعونا لا ننسى أبداً أنّ الهدف الوحيد للكشف المبكر على الأطفال حديثي الولادة هو تحقيق فائدة مباشرة وفوريّة للطفل

المريض. هذه الأخلاقيات تتخطى جميع المجادلات المحتملة. وقد يتوسّع برنامج فحص حديثي الولادة ليطال أمراضًا جديدة شرط أن نتمكّن من علاجها ونجعل بالتالي الأطفال يعيشون بشكلٍ طبيعيّ.

وهكذا، تتشرّف جامعة القديس يوسف اليوم، ومعكم جميعًا، بأن تعلن عن استحداث إختبار TREC للكشف المبكر لحديثي الولادة من ذوي الجهاز المناعة الضعيف نظرًا لأهميّة الكشف المبكر عن حالات النقص في المناعة !

أختم كلمتي بالقول إنّه لأمر عزيزٌ على قلبنا وضروريّ، من أجل خير صحّة الطفولة واللبنانيين، أن نقدّم كلّنا معًا كشركاء، وزارة، وجمعيات، وجامعات ومستشفيات، نموذجًا لعملٍ حقيقيّ حتّى لو بقيت روح المنافسة موجودة دائمًا. ولكن فلتكن هذه الروح التنافسيّة دافعًا لتحقيق عملٍ أفضل وضمّان أفضل خدمة لأسرنا وبلدنا وحتّى خارج حدود بلدنا لأنّ لبنان كان وسيكون أكثر وأكثر منصّة رائعة من أجل توفير صحّة أفضل للجميع !